(٨١) [السميع]

ورد اسمه سبحانه (السميع) في القرآن الكريم خمسًا وأربعين مرة من ذلك قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة: ١].

وقوله عز وجل: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سبأ: ٥٠].

المعنى اللغوي:

قال في اللسان: «السمع للإنسان وغيره: حِسُّ الأذن أو ما وقر في الأذن من شيء تسمعه، ورجل سميع أي: سامع ورجل سَّماع إذا كان كثير الاستماع لما يقال، وينطق كقوله تعالى: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ [المائدة: ٤١].

والسميع على وزن فعيل من أبنية المبالغة»[١].

وتفسير صاحب اللسان هنا السمع بحس الأذن مختص بسمع أغلب المخلوقات. ولو فسَّره بإدراك الصوت لكان أولى؛ لأنه لا يشترط في السمع الأذن، حتى في سمع المخلوق - كسمع الملائكة - وإثبات السمع لهم لا يستلزم إثبات الآذان.

---

(١) اللسان ٣/ ٢٠٩٦، وانظر النهاية ٢/ ٤٠١.

وقال الزجاج: «ويجيء في كلامهم: سمع بمعنى أجاب»[١].

المعنى في حق الله تعالى:

لله تعالى سمع يليق بعظمته وجلاله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكييف، يسمع به أقوال عباده وما ينطق به خلقه، سواء عند الجهر أو الخفوت.

يقول الطبري – رحمه الله تعالى – عند قوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾: «يقول جل ثناؤه واصفًا نفسه بما هو به (وهو) يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول»[٢].

وقال الخطابي رحمه الله تعالى: « (السميع) بمعنى السامع إلا أنه أبلغ في الصفة وبناؤه فعيل بناء المبالغة كقولهم: عليم من عالم، وقدير من قادر، وهو الذي يسمع السر والنجوى سواء عند الجهر والخفوت والنطق والسكوت.

وقد يكون السماع بمعنى: القبول والإجابة؛ كقول النبي ﷺ: (**اللَّهم إني أعوذ بك من قول لا يسمع**)[٣] ، أي: من دعاء لا يستجاب، ومن ذلك قول المصلي: «سمع الله لمن حمده» معناه: قبل الله حمد من حمده»[٤].

فيكون من معاني السميع: المستجيب لعباده إذا توجهوا إليه بالدعاء وتضرعوا.

ومن ذلك قول الخليل عليه السلام: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

---

(١) تفسير الأسماء ص ٤٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٥/ ٩.

(٣) أحمد ٣/ ١٩٢، وصححه الألباني.

(٤) شأن الدعاء ص ٩.

ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في نونيته:

«وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكـون من سـر ومن إعـلان
ولكل صوت منه سـمع حاضر فالسـر والإعـلان مسـتويان
والسـمع منه واسـع الأصوات لا يخـفى عليه بعيـدها والـداني»[1]

وقال أيضًا:

«والحـمد لله السـميع لسـائر الـ أصوات من سر ومن إعلان»[2]

ويقول أيضًا: « (**السميع**): الذي قد استوى في سمعه سر القول وجهره، وسع سمعه الأصوات، فلا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تشتبه عليه، ولا يشغله منها سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه كثرة السائلين.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وإني ليخفى عليَّ بعض كلامها، فأنزل الله - عز وجل -: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾» [المجادلة: ١]»[3].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: «ومن أسمائه الحسنى السميع

---

(١) النونية ٢/ ٢١٥.

(٢) النونية البيت رقم (٤٩٨٣).

(٣) طريق الهجرتين ص ٢٣٤، والحديث رواه البخاري تعليقًا ١٣/ ٢٧٣ وأحمد ٦/ ٤٦، والنسائي (٣٤٦٠).

الذي يسمع جميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحالات، فالسر عنده علانية، والبعيد عنده قريب»[١].

وسمعه تعالى نوعان:

أحدهما: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية وإحاطته التامة بها.

والثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وقول المصلي: «سمع الله لمن حمده، أي: استجاب»[٢].

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (السميع):

أولاً: إثبات صفة السمع لله تعالى كما يليق بعظمته سبحانه وجلاله من غير تمثيل ولا تحريف ولا تكييف، خلافًا للمعطلة والنفاة، سواء منهم من نفى هذا الاسم لفظه ومعناه، أو من أثبت اللفظ ولم يثبت المعنى كالمفوضة وأشباههم.

قال الأزهري رحمه الله: «والعجب من قوم فسّروا (السميع) بمعنى المُسْمِعْ فرارًا من وصف الله بأن له سمعًا، وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه، فهو سميع ذو سمع، بلا تكييف ولا تشبيه بالسميع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه ونحن نصف الله بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف»[٣].

---

(١) توضيح الكافية الشافية ص ١١٨.

(٢) الحق الواضح المبين ص ٣٥.

(٣) تهذيب اللغة ٢/ ١٢٤.

وقد بوّب البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه في كتاب التوحيد: باب «وكان الله سميعًا بصيرًا».

قال ابن بطال: «غرض البخاري في هذا الباب الرد على من قال إن معنى «سميع بصير»: عليم، قال: ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتًا ولا يسمعها.

ولا شك أن من سمع وأبصر أدْخَلُ في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر، فصح أن كونه سميعًا بصيرًا يفيد قدرًا زائدًا على كونه عليمًا، وكونه سميعًا بصيرًا يتضمن أنه يسمع بسمع، ويبصر ببصر، كما تضمن كونه عليمًا أنه يعلم بعلم ولا فرق بين إثبات كونه سميعًا بصيرًا وبين كونه ذا سمع وبصر. قال: وهذا قول أهل السُّنَّة قاطبة»أهـ[1].

واشتراك المخلوق مع الخالق سبحانه في هذا الاسم لا يعني المشابهة، فإن صفات المخلوق تناسب ضعفه وعجزه وخلقه، وصفات الخالق - عز وجل - تليق بكماله وجلاله سبحانه وتعالى.

يقول أبو القاسم الأصبهاني - رحمه الله تعالى - موضحًا بعض الفروق بين سمع الله - عز وجل - وسمع المخلوق: «خُلق الإنسان صغيرًا لا يسمع، فإنْ سمع لا يعقل ما يسمع، فإذا عَقَل ميَّزَ بين المسموعات فأجاب عن الألفاظ بما يستحق، وميَّز الكلام المستحسن من المستقبح، ثم كان لسمعه مَدى إذا جاوزه لم يسمع، ثم إنْ كلَّمه جماعة في

(١) فتح الباري ١٣/ ٣٧٢، ٣٧٣.

وقتٍ واحد عَجَزَ عن استماع كلامهم، وعن إدراك جوابهم.

والله - عز وجل - السميع لدعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم واجتماعهم مع اختلافِ ألسنتهم ولُغَاتهم، يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، ويعجزُ القائل عن التعبير عن مراده فيعلم الله فيُعطيه الذي في قلبه، والمخلوق يزول عنه السمع بالموت، والله تعالى لم يزل ولا يزال، يُفني الخلق ويرثهم فإذا لم يبق أحدٌ قال: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [غافر: ١٦]، فلا يكون من يرد! فيقول: ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦] »[1].

ثانيًا: مراقبة الله - عز وجل - فيما يقوله اللسان، سواء أسر القول أو جهر به، وسواء كان ذلك في جماعة أو في خلوة، قال الله - عز وجل -: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧].

وهذا الإيمان يثمر في القلب الخوف من الله - عز وجل - والمحافظة على اللسان من أن ينطق بما يسخط الله تعالى، فالله تعالى يسمع ذلك والملائكة تكتبه، ومن تعبد لله تعالى بهذا الاسم الكريم جنب لسانه

(١) نقلاً عن النهج الأسمى، محمد الحمود النجدي ١/ ٢٣١.

الفحش من القول من سب، وسخرية، وغيبة، ونميمة، وبهتان، ولهو باطل أو نشر لباطل يضل به الناس.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)**[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي - أو ثقفيان وقرشي - كثيرةٌ شحم بطونهم، قليلةٌ فقهُ قلوبهم. فقال أحدُهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخرُ: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمعُ إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [فصلت: ٢٢][2].

ثالثًا: اللجوء إلى الله - عز وجل - وسؤاله سبحانه من حاجات الدنيا والآخرة، فهو السميع لدعاء عباده سرهم ونجواهم، وهو السميع بمعنى (**المجيب**) لدعائهم والمفرج لكرباتهم، وهذا المعنى من معاني السميع يسكب في القلب الطمأنينة والأنس بالله تعالى وحسن الظن به سبحانه، والرجاء فيما عنده، وعدم الملل من دعائه، وعدم اليأس من كشف الشدائد وقضاء

(١) الترمذي في الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢١١٠).

(٢) البخاري (٤٨١٧)، مسلم (٢٧٧٥).

الحاجات، فهو سبحانه السميع لدعاء عباده، المجيب القريب منهم، وهذا يثمر صدق التوكل على الله سبحانه، والتعلق به وحده والرجاء فيما عنده.

وقد دعا الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - والصالحون ربهم سبحانه بهذا الاسم ليقبل منهم أو ليستجيب دعاءهم، قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فإبراهيم وإسماعيل - عليهما الصلاة والسلام - قالا: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وهما يرفعان قواعد البيت الحرام.

وقال سبحانه عن ثناء خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبرهيم: ٣٩].

وامرأة عمران عندما نذرت ما في بطنها خالصًا لله، لعبادته ولخدمة بيت المقدس قالت: ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ال عمران: ٣٥]، ثم أخبر تعالى أنه قبل منها ذلك: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [آل عمران: ٣٧].

ودعا زكريا ربه أن يرزقه ذرية صالحة ثم قال: ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٨]، فاستجاب الله دعاءه.

ودعا يوسف - عليه الصلاة والسلام - ربه أن يصرف عنه كيد النسوة: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يوسف: ٣٤].

وأمر بالالتجاء إليه عند حصول وساوس شياطين الإنس والجن.

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

رابعًا: الصبر على ما يلاقيه العبد من أذى الخلق وخاصة من الكافرين والمنافقين والفاسقين، سواء ما يقولونه من السب، والشتم، والبهتان، والظلم، والتهم الباطلة، لأن الله - عز وجل - يسمع كلامهم ولايخفى عليه أمرهم؛ وسينصف سبحانه عباده المؤمنين منهم إن عاجلاً أو آجلاً، قال الله عز وجل لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿ أَمْ تَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وفي الحديث الذي رواه مسلم عن الأذى الذي تعرض له الرسول ﷺ وهو يعرض نفسه على القبائل والذي جاء فيه: (**إن الله قد سمع قول قومك لك...**) الحديث[1].

والإيمان بهذا يثمر في القلب الصبر والرضى والطمأنينة والاستعانة به سبحانه، وانتظار فرجه ونصره، وعدم استبطاء ذلك، لأن الله سبحانه يسمع ويعلم، ولكنه يمهل ولا يهمل.

اقتران اسمه سبحانه (السميع) ببعض الأسماء الحسنى

أولاً: اقتران اسمه سبحانه (السميع) باسمه (العليم):

ورد هذا الاقتران في القرآن الكريم في ثنتين وثلاثين آية؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وغيرها من الآيات.

وقد سبق ذكر وجه الاقتران في باب اسمه سبحانه (**العليم**) فليرجع إليه.

---

(١) البخاري (٣٢٣١)، مسلم (١٧٩٥).

وقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - وجه هذا الاقتران عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٧]، فقال: «فإن الطلاق لما كان لفظًا يسمع، ومعنى يقصد، عقبه باسم (السميع) للنطق به (العليم) بمضمونه»[(١)].

ثانيًا: اقتران اسمه سبحانه (السميع) باسمه سبحانه (البصير):

وقد ورد هذا الاقتران في كتاب الله - عز وجل - في إحدى عشرة آية من ذلك:

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة: ١].

وعن وجه هذا الاقتران يمكن أن يقال: «إن اسمي (السميع والبصير) يشيران إلى اتصاف الله سبحانه - بكمال السمع والبصر - وإحاطتهما ونفاذهما، فكلٌ منهما صفة كمال له - عز وجل - ويستفاد من اجتماعهما صفة كمال ثالثة كما هو الشأن في الصفات المقترنة.

ويمكن اعتبار هاتين الصفتين مجتمعتين عنوانًا على تنزيهه تعالى عن مشابهة المخلوقين، فإنَّ لهم سمعًا وبصرًا، لا كسمعه وبصره - عز وجل - فضلاً عما يوحي به اقتران الصفتين من إحكام الرقابة، على الأقوال والأفعال، والإحاطة التامة للمخلوقات كلها وأن الله محيط بها لا يفوته شيء منهم، ولا يخفى عليه من أمورهم شيء، بل هم تحت سمعه وبصره.

وعن وجه تقديم (السميع) على (البصير) في جميع الآيات يقول الإمام

---

(١) جلاء الأفهام ص ٢٨٠.

ابن القيم رحمه الله تعالى: «قيل: تقديمُ السّمع على البصر له سببان:

أحدهما: أن يكون السّياق يقتضيه بحيث يكون ذكرها بين الصّفتين متضمنًا للتهديدِ والوعيد، كما جرت عادة القرآن بتهديد المخاطبين وتحذيرهم بما يذكرهُ من صفاتِه التي تقتضي الحذرَ والاستقامة، كقوله: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٩]، وقوله: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ [النساء: ١٣٤].

والقرآن مملوءٌ من هذا، وعلى هذا فيكونُ في ضمن ذلك: أني أسمعُ ما يَردّون به عليكَ، وما يقابلون به رسالاتي، وأبصرُ ما يفعلون.

ولا ريب أن المخاطبين بالرسالة بالنسبة إلى الإجابة والطاعة نوعان: أحدهما: قابلوها بقولهم: صدقت ثم عملوا بموجبها.

والثاني: قابلوها بالتكذيب، ثم عملوا بخلافها فكانت مرتبة المسموعِ منهم قبل مرتبةِ المُبْصَر، فقدَّمَ ما يتعلقُ به على ما يتعلق بالمُبْصر.

وتأمل هذا المعنى في قوله تعالى لموسى: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه: ٤٦]، هو يسمعُ ما يُجيبُهم به وَيرى ما يصنعُه، وهذا لا يعم سائر المواضعِ، بل يختصُّ منها بما هذا شأنه.

والسّبب الثاني: أن إنكار الأوهام الفاسدة لسمعِ الكلام مع غايةِ البعد بين السّامع والمسموع أشدُّ من إنكارها لرؤيته من بُعْد.

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «اجتمع عند البيت ثلاثة

نفر: ثقفيَّان وقرشي، أو قرشيان وثقفي، فقال أحدهم: أترون الله يسمعُ ما نقول؟ فقالَ الآخر: يَسمُع إنْ جهَرنا، ولا يسمع إن أخفينا، فقال الثّالث: إن كان يسمعُ إذا جهرنا فهو يَسمعُ إذا أخفينا»[1] ولم يقولوا: أترون الله يرانا، فكان تقديمُ السّمع أهم، والحاجةُ إلى العلم به أمَسَ.

وسبب ثالث: وهو أن حركةَ اللّسان بالكلام أعظمُ حركات الجوارح وأشدُّها تأثيرًا في الخير والشّر والصّلاح والفساد؛ بل عامة ما يترتبُ في الوجودِ من الأفعال إنما ينشأ بعد حركة اللسان، فكان تقديمُ الصّفةِ المتعلقةِ به أهمَّ وأولى، وبهذا يُعلَمُ تقديمه أيضًا على العليم حيث وقع»[2].

ثالثًا: اقتران اسمه سبحانه (السميع) باسمه سبحانه (القريب):

ورد هذا الاقتران مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سبأ: ٥].

يقول البقاعي عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ ، أي: «لا يغيب عنه شيء من حال من يكذب عليه فهو جدير بأن يفضحه كما فضحكم في جميع ما تدعونه، ولا يبعد عليه شيء، ليحتاج في إدراكه إلى تأخير لقطع مسافة أو نحوها، بل هو مدرك لكل ما أراد كلما أراد.. »[3]، وهو سبحانه قريب في علوه يسمع ويرى وعال في قربه.

---

(١) سبق تخريجه ص ٦٢٠.

(٢) بدائع الفوائد ١/ ٩٧، ٩٨.

(٣) نظم الدرر ١٥/ ٥٣٥.